﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢١﴾ [الأعراف: 121]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

ولما كان النّاسُ بمعْرِضِ التّشوُّق العظيم إلى معرفة قولِ السّحرة بعد فعلِهم[1]، أعلنوها صريحةً، وجهروا بها على رؤوس الأشهاد مدوّيةً، فبان مَوقفُ السّحَرةِ بعْدَ إخْباتِهم للّه تعالى، مُعْلِنين الإيمانَ به دونَ سِواه.

❁ المعنى الإجْماليُّ:

تَصريحُ السّحَرةِ بالإيمانِ، مُشيرٌ إلى الكُفرِ بِرُبوبيّةِ فرعونَ المَوهومَةِ

قالوا: آمنّا بربّ العالمين، وصدّقنا بما جاءنا به موسى، وأنّ الذي علينا عبادتُه، هو الذي يملكُ الجنَّ والإنسَ وجميعَ الأشياء، ويدبّرُ ذلك كلَّه[2]، فهو مالكُ أمرِ العالمين ومدبّرُ شؤونِهم، والمتصرّفُ فيهم[3]، ونحن مقرّون بالإيمان به، مُعلنون به أمامَ الأشهاد، مصرّحون بلفظِه، متحمّلون عواقبَه.

وقصدوا من إعلان إيمانِهم باللّه لئلّا يظنَّ النّاسُ أنهم سجدوا لفرعون، إذ كانت عادةُ القبط السّجودُ لفرعونَ، ولذلك وصفوا اللّه بأنّه رب العالمين بالعنوان الذي دعا به موسى عليه السلام، ولعلّهم لم يكونوا يعرفون اسمًا علَمًا للّه تعالى، إذ لم يكن للّه اسمٌ عندهم، وقد علمَ بذلك أنهم كفروا بإلهيّةِ فرعون[4].

وتُرشدُ الآية الكريمةُ إلى حتميّةِ الثّبات في مواقف الشّدّةِ، وتحديدِ المصير، والإقدامِ في مواطن التّخيير بين النّجاة بالتّمسّك بنور الهداية، ودربِ الفلاح، أو الخُسرانِ بتغليب الكِبْرِ، والجحود، والضّلالِ.

(1) البقاعيّ، نظم الدرر: 3/84.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 13/32.
(3) طنطاويّ، الوسيط: 5/351.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/53.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

التَّعبيرُ بالفعْلِ المَبنيِّ للمعلومِ، والجُملةِ الفعليّةِ:

الإقرارُ بالإيمان، اسْتِلزامٌ لِشرائِطِه، والتزامٌ بحَقائِقِه

وقصدَ إلى الفعل ﴿قَالُوٓاْ﴾ على صيغة المعلوم لكونِ الإيمانِ يستلزمُ النّطقَ به (قولا) فضلًا عنِ التَّصديقِ القلبيِّ، وعملِ الجوارح الذي أظهروا بديعَ صورتِه عند سجودِهم. وجاء بالآيتين على صيغة الجملةِ الفعليةِ؛ لكونِ السّحرةِ في حالة هياجٍ وتأثّرٍ متجدّدٍ من هول ما شاهدوه، وعِظَمِ ما أبصروه. فضلًا عن كونِهم في حالِ انتقالٍ عَقَديَ من كفر الى إيمان، وهو أصعبُ حالات الانتقال؛ لكونِه تخلّصًا من أدران اعتقادٍ واعتيادٍ، وسَنن آباءٍ، وأجدادٍ، وقومٍ ألفوها منهجَ حياةٍ، وسبيلَ علمٍ باطلٍ، وأدواتِ عمل.

الدَّلالةُ الصَّوتيةُ للمدِّ، في الفعْلِ ومَعمُولِه: ﴿ءَامَنَّا﴾:

السّجودُ راحةُ قُرْبٍ، تجلّتْ في صَوتِ المدِّ على ألْسِنتِهم

ويمنحُ المدُّ في الفعل الماضي ﴿ءَامَنَّا﴾ وتشديدُ النون إلماحًا بتحقّقِ التّصديق في فعلِ الإيمان، ورسوخِه، واستطالتِه على ألسنتهم راحةً، وطمأنينةً ترتَّبَ على سجودهم. فهم في حالٍ أقرب ما يكونون فيه إلى الله تعالى.

إعْلانُ الإيمانِ، بين الفعْلِ المَرئيِّ، والقَوليِّ:

الحَركةُ في المشاهِدِ المَهولةِ، تَسبقُ الكلامَ

إعلانُ إيمانهم جاء بالفعل المَرئي المُشاهَد للجميع سجودًا، ثم بالقول المسموع[1]؛ لكونِ الحركة في المَشاهِدِ المَهولة، والحوادثِ العظيمةِ تسبقُ الكلامَ في الغالب، فكان السّجودُ، الذي يمثّلُ الحركةَ المعبّرةَ طبعًا - وعادةً في تلك الحِقبةِ - عنِ الإيمان، والتّسليمِ، والخضوعِ، وتبعَه النّطقُ المُعلِنُ للإيمان بالله رب العالمين، بعد ذلك.

نُكتةُ تَقْديمِ فعْلِ السُّجودِ، على فعْلِ الإيمانِ:

وهنا يبرزُ سؤالٌ يقتضيه تقديمُ فعل السّجود على فعل الإيمان،

(1) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 15/9321.

هل كان السّجودُ قبل الإيمان؟ أم بعده؟ ومع أنَّ النصّ يَظهرُ منه أنهم آمنوا بعد السّجود، ولكن كان الأمرُ يقتضي ألّا يسجدَ أحدٌ إلا لأنّه آمن، لكنَّ الإيمانَ مزيجٌ من عمل قلبيٍّ، ونُطقٍ باللّسان، وتظهرُ آثارُه على الجوارح والأركان، والسّجود عملٌ عضَليٌّ وسلوكٌ عمليٌّ، فكلٌّ منهم آمن بقلبِه فسجدَ[1]، وبهذا يترتّب السّجودُ مع النّطق بالإيمان وإعلانِه؛ لأنّ إعلان الإيمان شيءٌ، مرحلةٌ تاليةٌ لوقْرِ الإيمان في القلب، فكأنهم آمنوا فخرّوا ساجدين، وبعد هذا قاموا بإعلان الإيمان، وكأنّ النّاس سألوهم: ما الذي جرى لكم؟ فقالوا: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[2].

الـرّاجـحُ أنّـهـم آمـنـوا؛ فـخَـرُّوا سـاجـدِيـن، ثـمّ قـامُـوا بـإعْـلانِ الإيمانِ

دَلالةُ بَدلِ الاشْتمالِ ﴿قَالُوٓاْ﴾، من جُملةِ: ﴿وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ﴾:

جملة: ﴿قَالُوٓاْ﴾ بدلُ اشتمال منَ الملابسة من جملة: ﴿وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ﴾؛ لأنّ سجودَهم اشتمل على ذلك القول، وهم قصدوا من قولِهم ذلك الإعلانَ بإيمانهم باللّه لئلّا يظنَّ النّاس أنّهم سجدوا لفرعون؛ إذ كانت عادةُ القبطِ السّجودَ لفرعون، ولذلك وصفوا اللّه بأنه ﴿بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ بالعنوان الذي دعا به موسى عليه السلام، ولعلّهم لم يكونوا يعرفون اسمًا علَمًا للّه تعالى، إذ لم يكن للّه اسمٌ عندهم، وقد علمَ بذلك أنهم كفروا بإلهيّة فرعونَ[3].

تَنوُّعُ احْتِمالاتِ الإعرابِ، اتِّساعٌ في تقديرِ المعنى

أو هي حالٌ ثانيةٌ بإضمارِ قد، أو بدونِه، ويحتملُ أن يكون استئنافًا بيانيًّا، كأنّه قيل: فما قالوا؟ فقيل: قالوا آمنا بربّ العالمين ربِّ موسى وهارون[4]، أو هو عطفٌ، وحرفُ العطف مقدّرٌ[5].

(1) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 17/10571.
(2) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 7/4301.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/53.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 19/79.
(5) الكرمانّي، غرائب التّفسير: 2/832.

تَعريفُ لفْظِ (الرّبّ)، ودلالةُ الباءِ الجارّةِ:

الله ربُّ الخلْقِ والكَوْنِ بمَوجُوداتِه قاطبةً

الباء في ﴿بِرَبِّ﴾ للإلصاق المعنويِّ، وعُرّف الرّبُّ بإضافته إلى المعرّف بـ(ال) الجنسيّةِ للاستغراق الحقيقيّ ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، وهو مجموع الجنسِ منَ الخلق.

تَوجيهُ المُتشابِهِ اللّفظِيِّ، في قصّةِ مُوسى والسّحَرةِ:

تَشابُهُ الآياتِ تَفنُّنٌ في القوْلِ، وقصدٌ إلى بناءٍ نَظْميٍّ مُحْكَمٍ

لم يذكر في سورة طه إيمانَهم بربّ العالمين، وأخّر فيها اسمَ موسى، وقدّم اسمَ هارونَ؛ لمراعاةِ فواصلِ السّور بما لا يعارضُ غيرَه ممّا ورد في غيرها، ولا سيما وقد نزل قبلَها، فالإيمان بربِّ هارون وموسى هو الإيمانُ برب العالمين؛ لأنهما قالا لفرعون: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦﴾ [الشّعراء: 16] وهذه عادةُ القرآن، فهو يذكرُ منَ القصص ما يثبّتُ به الإيمانَ، ويتزكّى الوجدانُ، وتحصُل العِبرةُ، وتُؤثّر الموعظةُ، ولا بدَّ في ذلك من تَكْرار المعاني مع التّفنّن في الأسلوب، والتّنويعِ في نظم الكلامِ وفواصلِ الآي، وتوزيعِ الفوائد وتفريقِها، بحيث يوجدُ في كلِّ قصّةٍ ما لا يوجدُ في غيرها[1].

(1) رضا، تفسير المنار: 9/61 - 62.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 14 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-10-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 14 : المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-10-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0402725 بتاريخ 2023/12/30م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»